الصباح الإسلامية
09
العدد 3041 - السنة الحادية عشرة
الخميس 26 رجب 1439 - الموافق 12 أبريل 2018
Thursday 12 April 2018 - No.3041 - 11th Year

كيفية التعامل مع غير المسلم؟

- العودة: النهي عن إلقاء السلام على اليهود والنصارى جاء في ظرف خاص وفي ظل توتر في العلاقات
- هناك خلاف بين السلف في كيفية التعامل ورد السلام يدل على أن الأمر فيه سعة
- النبي قبل هدية من غير المسلمين وأهدى لهم وهو صاحب الشريعة

يقع كثير من المسلمين الذين يخشون على دينهم في حيرة وقلق بسبب هذا السؤال، ويريدون بطرحه الوصول إلى قول فصل، حتى يكونوا على بينة من أمرهم، والإجابة ميسرة إلى حد بعيد، فكل ما على المسلم أن يفعله أن يرجع إلى كتاب ربه، وسنة نبيه، وسيصل إلى بغيته في ذلك، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي قدم لنا حلا لتعايش المسلم مع غيره من أصحاب الملل المختلفة، ومن تعليمات الإسلام وإرشاداته انه نبهنا وعلمنا كيف نعامل غير المسلم في المأكل والمشرب والنكاح وغير ذلك من الأشياء الخاصة بالعلاقة بين المسلمين وغيرهم.

البر بهم والإحسان إليهم

يرشدنا الإسلام إلى أن الأصل في معاملة الناس جميعا مسلمهم وكافرهم البر بهم، والإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة: 8و9].

فلم ترغب الآيات في العدل والإحسان إلى غير المسلمين فحسب، بل رغبت في البر إليهم أيضا.

وإذا كان الإسلام لا ينهى عن البر والإقساط إلى المخالفين من أي دين ولو كانوا وثنيين أو مشركين، فإنه ينظر نظرة خاصة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقد قدم القرآن الكريم نموذجا في أدب الحوار معهم فلا يناديهم إلا بقوله تعالى: يا أهل الكتاب، يا أيها الذين أوتوا الكتاب، وذلك إشارة إلى أنهم في الأصل أهل دين سماوي، وبينهم وبين المسلمين رحم قربى، يتمثل في أصول الدين الواحد الذي بعث به الله -سبحانه وتعالى- أنبياءه جميعا قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى: 13].

وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله؛ ودخل وفد نجران على النبي (مسجده بعد العصر)، فكانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال: «دعوهم»! فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم.

- هناك إجماع على رد السلام على غير المسلم والبدء به مشروع

وقد أوصى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو على فراش الموت الخليفة من بعده بأهل الذمة خيرا، وأن يفي بعهدهم، ولا يكلفهم فوق طاقتهم، والذمة معناها العهد، الذي يشمل عنصري التأمين والحماية، وهذا سبق وريادة يُعرف في عصرنا بالحقوق المدنية والجنسية.

والإسلام جعل من بين أركان عقيدته الإيمان بكتب الله قاطبة، ورسله جميعا، ومن ينكر ذلك يدخل في دائرة الكفر، قال تعالى: «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون».

وقد أباح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب وتناول ذبائحهم ومصاهرتهم، والتزوج من نسائهم في الحدود الشرعية المسموحة، قال تعالى: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ [المائدة: 5].

الرفق في الحديث

حث الإسلام على الترفق في الحديث معهم، ومجادلتهم بالتي هي أحسن؛ لأن في ذلك نزعا للأحقاد، وتنقية للنفوس مما يعلق بها من حقد، قال تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون» وكذلك حث الإسلام على توفير الحياة الآمنة، كما حث على الصدق في التعامل والعدل والسلام مع غير المسلمين، وقال: (من آذى ذميًا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة) [الخطيب]، وقال: (من ظلم معاهدا، أو انتقص حقا، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة) [أبو داود]، كما أجاز الإسلام للمسلم أن يهدي الهدايا إلى غير المسلمين، وأن يقبل منهم الهدية ويجازيه عليها، فقد ثبت أن النبي (أهدى إليه الملوك، فقبل منهم، وكانوا غير مسلمين، فعن أم سلمة -لم المؤمنين- رضي الله عنها-، أن النبي قال لها: «إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأواقي من مسك» [أحمد].

ويجب على المسلم أن يكون تعامله مع غير المسلم في حدود التأثير فيه لا التأثر به، فكل له عاداته وتقاليده، فلا يجوز للمسلم التشبه بغير المسلم فيما يخالف مبادئ الإسلام، كأن يتشبه بهم في ملابسهم، أو يقدم مشروبا محرما لضيوفه، أو طعاما غير حلال للمسلمين، أو ما شابه ذلك.

هذه هي مبادئ الإسلام الخالدة وقيمه السامية التي تتعامل مع الإنسان وتحترمه، فقد كان سهل بن ضيف، وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمرّ الناس عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض -أي من أهل الذمة- فقالا: إن النبي (مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: (أليست نفسا) [البخاري].

مبادئ إسلامية

هناك مبادئ يجب أن تترسخ في ذهن كل مسلم ليعرف كيف يتعامل مع غير المسلمين ومنها: أولا: اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان، أيا كان دينه أو جنسه أو لونه، قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ الإسراء:70 وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.

ومن الأمثلة العملية ما رواه البخاري عن جابر ابن عبد الله: أن جنازة مرت على النبي صلى الله عليه وسلم فقام لها واقفا، فقيل له: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فقال: «أليست نفسا؟!» بلى، ولكل نفس في الإسلام حرمة ومكان، فما أروع الموقف وما أروع التفسير والتعليل!

ثانيا: اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى، الذي منح هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار فيما يفعل ويدع ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (الكهف:29) ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ (هود:118، 119) قال المفسرون: أي وللاختلاف خلقهم؛ لأنه منحهم العقل والإرادة، فاقتضت مشيئته أن يختلفوا.

والمسلم يوقن أن مشيئة الله لا راد لها ولا معقب. كما أنه لا يشاء إلا ما فيه الخير والحكمة، علم الناس ذلك أو جهلوه؛ ولهذا لا يفكر المسلم يوما أن يجبر الناس ليصيروا كلهم مسلمين، كيف وقد قال الله تعالى لرسوله الكريم: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس:99).

ثالثا: ليس المسلم مكلفا أن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنما حسابهم إلى الله في يوم الحساب، وجزاؤهم متروك إليه في يوم الدين. قال تعالى: ﴿وإن جادلوك فقل: الله أعلم بما تعملون. الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ (الحج:68، 69). وقال يخاطب رسوله في شأن أهل الكتاب: ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ (الشورى:15).

وقد قال عيسى عليه السلام لربه يوم القيامة: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ (المائدة:118).

وبهذا يستريح ضمير المسلم، ولا يجد في نفسه أي أثر للصراع بين اعتقاده بكفر الكافر، ومطالبته ببره والإقساط إليه، وإقرار علي ما يراه من دين واعتقاد.

رابعا: إيمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل، ويحب القسط، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، ولو مع المشركين، ويكره الظلم ويعاقب الظالمين، ولو كان الظلم من مسلم لكافر. قال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ المائدة:8.

وقال صلى الله عليه وسلم: «دعوة المظلوم -وإن كان كافرا- ليس دونها حجاب».

وقال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾.

رد السلام

وقد أكد د. سلمان العودة أن الأمر للمسلمين بأن يضطروا أهل الكتاب لأضيق الطرق عند ملاقاتهم في الطرقات والوارد في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد: أنه إذا كان الحديث ينهى عن ابتدائهم بالسلام، كيف يمكن أن يؤول أن إبراهيم عليه السلام سلم على والده «قال سلامٌ عليك»، والله سبحانه وتعالى ذكر لقط السلام «لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلامٌ عليكم»، وقال سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام «فاصفح عنهم وقل سلام»، وأضاف فضيلته ولذلك وقع الخلاف بين السلف في هذه المسائل بعد أن اتفق عامتهم على جواز الرد على سلام الكافر بلفظ «وعليكم السلام» سواء كان يهوديا أو نصرانيا أو غيره، ولكن اختلفوا في ابتدائه بالسلام وفي لفظ السلام، أما ابتدائه بالتحية مثل مساء الخير صباح الخير فلا إشكال فيها، ولكن الإشكال في لفظ: السلام عليكم، وذلك على قولين:

- الرجوع إلى الكتاب والسنة يعلمنا حقيقة التعامل مع غير المسلمين

القول الأول: بجواز إلقاء السلام على الكافر، وهذا مذهب أبي أمامة وحذيفة وابن مسعود وابن عباس والحنفية وكثير من فقهاء الشافعية وفقهاء الحنابلة وغيرهم، كما أن الأوزاعي -رضي الله عنه- عندما سئل عن ذلك قال : «إن سلمت فقد سلم الصالحون وإن تركت فقد ترك الصالحون»، مما يدل على أن الأمر فيه سعة.

القول الثاني: بعدم إلقاء السلام عليهم؛ ولكن يُحيّون بتحية أخرى.

وأوضح العودة أن حديث «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام» الذي ربما هو أساس الحجة، قيل في ظرف خاص، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إني راحل لليهود غدا، وذلك في ظل توتر في العلاقات وتهيؤ لقتال اليهود بعدما خانوا، فكان عدم إلقاء السلام عليهم -في نظري- أنه من الأمانة النبوية، فكيف ألقي عليه السلام وأنا أحضر لحربه بعدما نقض العهد والميثاق مما يتطلب وضوحا في المعاملة.

وعلى ذلك فإن النبي عليه السلام عندما نهى عن الإلقاء كان هذا في ظرف خاص له اعتبار تاريخي، حيث أشار ابن القيم في «زاد المعاد» إلى هذا الاحتمال وإن لم يرجحه ولكن هو الراجح -في نظري- بمقتضى مجموع النصوص الواردة في الباب.

اشترط ثلاثة شروط لقبول الولاية

عمر في المدينة.. عدل مع الناس وحرص على طاعة ولي الأمر

تولى عمر بن العزيز في ربيع الأول من عام 87هـ إمارة المدينة المنورة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، ثم ضم إليه ولاية الطائف سنة 91هـ وبذلك صار واليا على الحجاز كلها؛ واشترط عمر لتوليه الإمارة ثلاثة شروط: الشرط الأول: أن يعمل في الناس بالحق والعدل ولا يظلم أحدا ولا يجور على أحد في أخذ ما على الناس من حقوق لبيت المال، ويترتب على ذلك أن يقل ما يرفع للخليفة من الأموال من المدينة. الشرط الثاني: أن يسمح له بالحج في أول سنة لأن عمر كان في ذلك الوقت لم يحج؛ الشرط الثالث: أن يسمح له بالعطاء أن يخرجه للناس في المدينة فوافق الوليد على هذه الشروط.

باشر عمر بن عبدالعزيز عمله بالمدينة وفرح الناس به فرحا شديد؛ واتخذ لنفسه مجلسا للشورى والذي تكون من فقهاء وعلماء حيث دعا بعد ان تولى مباشرة عشرة من فقهاء المدينة، وهم عروة ابن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأخوه عبد الله بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد بن ثابت، فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعوانا على الحق، إني لا أريد أن أقطع أمرا إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدا يتعدى، أو بلغكم عن عامل لي ظلامة، فأحرّج الله على من بلغه ذلك إلا أبلغني. لقد عرفت أن عمر بن الخطاب كان يجمع المجلس للأمر يطرأ، فيرى ضرورة الشورى فيه، أما عمر بن عبدالعزيز، وهو سبط عمر بن الخطاب، فقد أحدث مجلسا، حدد صلاحياته بأمرين: أنهم أصحاب الحق في تقرير الرأي، وأنه لا يقطع أمرا إلا برأيهم. وبذلك يكون الأمير قد تخلى عن اختصاصاته إلى هذا المجلس، الذي تسميه (مجلس العشرة) إن عمر افترض - غياب أحدهم عن الحضور لعذر من الأعذار ولهذا لم يشترط في تدبيره حضورهم كلهم، وإنما قال: (أو برأي من حضر منكم)، إن هذا المجلس كان يستشار في جميع الأمور دون استثناء.

- قرب العلماء الربانيين من ابن عبدالعزيز زاد المصلحة وقلل المفسدة

وتؤكد هذه القصة أهمية العلماء الربانيين وعلو مكانتهم وأنه يجب على صاحب القرار أن يدنيهم ويقربهم منه ويشاورهم في أمور الرعية، كما أنه على العلماء أن يلتفوا حول الصالح من أصحاب القرار من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن للمصالح وتقليل ما يمكن من المفاسد، كما أن عمر بن عبد العزيز لم يختصر في شوراه على هؤلاء فحسب، بل كان يستشير غيرهم من علماء المدينة، كسعيد بن المسيب، والزهري، وغيرهم، وكان لا يقضي في قضاء حتى يسأل سعيد، وفي المدينة أظهر عمر عبد العزيز إجلاله للعلماء وإكباره لهم، وقد حدث أن أرسل رحمه الله تعالى رسولا إلى سعيد بن المسيّب يسأله عن مسألة، وكان سعيد لا يأتي أمير ولا خليفة فأخطأ الرسول فقال له: الأمير يدعوك، فأخذ سعيد نعليه وقام إليه في وقته، فلما رآه عمر قال له: عزمت عليك يا أبا محمد إلا رجعت إلى مجلسك حتى يسألك رسولنا عن حاجتنا، فإنا لم نرسله ليدعوك، ولكنه أخطأ إنما أرسلناه ليسألك . وفي إمارته على المدينة المنورة وسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من الوليد بن عبد الملك، حتى جعله مائتي ذراعا في مائتي ذراع، زخرفه بأمر الوليد أيضا، مع إنه رحمه الله تعالى كان يكره زخرفة المساجد ، ويتضح من موقف عمر بن عبد العزيز هنا أنه قد يضطر الوالي للتجاوب مع قرارات ممن هو أعلى منه حتى وإن كان غير مقتنع بها إذا قدر أن المصلحة في ذلك أكبر من وجوه أخرى. وفي إمارته على المدينة في سنة 91هـ حج الخليفة الوليد بن عبد الملك فاستقبله عمر بن عبد العزيز أحسن استقبال، وشاهد الوليد بأم عينيه الإصلاحات العظيمة التي حققها عمر بن عبد العزيز في المدينة المنورة.

عرب الصحراء أصبحوا سادة الأمم بالأخلاق

إن حياة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - مليئة بما يثبت ويدلل على أن هذا الدين ما أتى إلا ليغير طباع البشر إلى الأخلاق الحميدة الحسنة، التي كانت في مرحلة بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - قد وصلت إلى أسوأ ما تكون عليه البشرية من طباع وعادات وتقاليد، اللهم إلا القليل. ولكم كان من الصعب أن يتخيل أحدٌ أن يكون العرب الأجلاف الصعاب الأشداء بهذه الأخلاق التي سموا بها على الدنيا! وسادوا الدنيا بعد أن هذب النبي - صلى الله عليه وسلم - أخلاقهم بوحي من الله - عز وجل - حتى يكون سبب أو أحد أسباب تملكهم للدنيا هي أخلاقهم.

العرب قبل الإسلام

فبنظرة إلى مجتمع العرب وقت رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - نجد أن أخلاق العرب في قمة السوء حيث أولعوا بالخمر والقمار، وشاعت فيهم الغارات وقطع الطريق على القوافل، والعصبية والظلم، وسفك الدماء، والأخذ بالثأر، واغتصاب الأموال، وأكل مال اليتامى، والتعامل بالربا، والسرقة والزنا، وما ينبغي أن يعلم أن الزنا إنما كان في الإماء وأصحاب الرايات من البغايا، ويندر أن يكون في الحرائر، وليس أدل على هذا من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخذ البيعة على النساء بعد الفتح: «على أن لا يشركن بالله شيئا، ولا يسرقن، ولا يزنين» «قالت السيدة هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان: أوتزني الحرة؟!

ولقد كان ضربا من الخيال أن يتخيل أي أحد أن تتغير طباع هؤلاء البشر إلى ما صاروا عليه بعد إسلامهم، وأن يصبحوا بهذه الأخلاق الفاذرة التي هي رسالة السماء إلى الأرض، من خلال النبي الذي كان معروفا بين قومه - من قبل أن يبعث - بالصادق الأمين - صلى الله عليه وسلم - فقد حول مولد الهادي وبعثته - رعاة الغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم، كان الرجل من الصحابة - مثلا - يأتي من الجاهلية جاهلا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، غير مؤمن بشيء من أمور الدين، ولا بأخلاق، فيقف أمام الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيخبره الرسول - عليه الصلاة والسلام - بأمور الإسلام والإيمان، وما يجب عليه، وخلال جلسات قليلة - أو ساعات قليلة - نجد هذا الإنسان قد انقلب خلقا آخر، وتغير تغيرا جذريا، تغير في سلوكه، وفي أخلاقه، وفي شخصيته، وفي نظراته، وفي تصرفاته، حتى كأنه ليس الشخص السابق، ولذلك صار يظهر منهم البطولات التي يقف الإنسان أمامها مبهورا، وهو يقرؤها على صفحات الكتب، فيستغرب كيف وصل بشرٌ من البشر إلى هذا الحد، وأحيانا خلال فترة قصيرة جدا.

وأكبر دليل على ذلك أننا في عصرنا الحاضر بعد أن تخلينا عن أخلاقنا ضاعت منا الدنيا، بعد أن كنا نملكها، وأصبح أرخص دم يراق على الأرض هو دم المسلم، هذا المسلم الذي قال فيه النبي فيما يرويه عبدالله بن عمرو، قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يطوف بالكعبة، ويقول: (ما أطيبك! وما أطيب ريحك! ما أعظمك! وما أعظم حرمتك! والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك: ماله ودمه)؛ اللفظ لابن ماجه.

مكانة الأخلاق في ديننا

للأخلاق في ديننا مكانتها الخاصة ومنزلتها الرفيعة، لدرجة أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قصر الهدف من رسالة الإسلام على تتميم مكارم الأخلاق في واقع الناس وسلوكهم.. وهذا مدلول قوله- صلى الله عليه وسلم-: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وهذا حق وصدق؛ حيث نلاحظ دائما أن الهدف الخلقي والسلوكي هو المبتغى من وراء التكليف بالعبادة في إجمالها وفي تفصيلها، فعلى سبيل الإجمال نقرأ قوله تعالى: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)، وعلى سبيل التفصيل نقرأ قوله تعالى في شأن الصلاة: «وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون»، وفي شأن الصيام «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون»، وفي شأن الزكاة «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم»، فلا عجب إذا أن يعتبر سلفنا الصالح الدين هو الخلق، وهذا ما عبر عنه ابن القيم- رحمه الله- بقوله: «الدين الخلق، فمن زاد عنك في الخلق زاد عنك في الدين، ومن نقص عنك في الخلق نقص عنك في الدين».

وهكذا فإن مولد النبي صلى الله عليه وسلم غير حال أمة العرب من الظلام الى النور ومن سوء الخلق الى حسن الخلق ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة.